سلسلة الثقافة الإسلامية ٨٧

مسؤوليات عصر الغيبة

محمّد مهدي الآصفي

مختارات من محاضرات ومقالات
ومؤلفات الشيخ محمد مهدي الآصفي
- ٨٧ -

❊ ❊ ❊

اسم الكتاب: .... مسؤوليات عصر الغيبة
المؤلف:... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الأولى: .... ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
الكمية.. ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة:........ مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف



﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.

القصص / ٥

هذه المقالة محاضرة
ألقيت بمناسبة ميلاد الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري (عجل الله فرجه) في ١٥ شعبان سنة ١٤٣١ في السويد - استوكهولم، ثم تمّ تدوين وتفصيل هذه المحاضرة بالصورة التي يجدها القارئ أمامه.

مسؤوليات عصر الغيبة

عصر الغيبة

عصر الغيبة هو عصر اختفاء الإمام محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام وعجل الله فرجه) عن الأنظار وهو المهدي من آل محمد (عليهم السلام) المولود بسامراء سنة

وعصر الغيبة ينشطر إلى شطرين الغيبة الصغرى ويبتدأ في سنة ٢٦٠هـ وينتهي سنة ٣٢٩هـ وقد تداول أمر القيادة النائبة للإمام المهدي عجل الله فرجه في هذه الفترة سفراء اربعة يمثلون الإمام عجل الله فرجه.

وهم:

١- أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، تولى السفارة عن الإمام عليه السلام بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠هـ.

٢- محمد بن عثمان بن سعيد العمري، توفي سنة ٣٠٥هـ.

٣- أبو القاسم حسين بن روح النوبختي، توفي سنة ٣٢٦هـ

٤- أبو الحسن علي بن محمد السمري، توفي سنة ٣٢٩هـ

وبوفاته (رضوان الله عليه) تنقطع دورة النيابة الخاصة وامتدت هذه الفترة من سنة ٢٦٠هـ إلى ٣٢٩هـ.

وبعد هذه الفترة تبتدئ عصر الغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله فرجه.

ولا نزال نحن في عصر الغيبة الكبرى.

وفي هذا العصر تتحول القيادة النائبة الخاصة إلى القيادة النائبة العامة، وأمر هذه القيادة للفقهاء العدول المتصدين للقيادة.

يمتدّ عصر الغيبة من وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وولاية الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام إلى اليوم وهو أطول عصور التاريخ الإسلامي.

ولابد من دراسة فقهية وثقافية لهذه الفترة، وإن لم يتيسر لنا الآن فرصة كافية لهذه الدراسة فلنا أن نتساءل عن مسؤولياتنا وواجباتنا في هذا العصر.

وأنا في هذه المحاضرة بصدد الاجابة الاجمالية عن مسؤولياتنا وواجباتنا في عصر الغيبة.

القيادة والطاعة في عصر الغيبة

وأول شيء يجب علينا ان نتساءل عنه هو هل أن غياب الإمام (عجل الله فرجه) واختفاءه بمعنى غياب القيادة والطاعة والتعليمات القيادية في هذه الفترة أم لا؟

وهل تنقطع القيادة والطاعة للقيادة والتعليمات القيادية باختفاء الإمام أم لا؟

هذا سؤال مهم وله آثار واسعة في ثقافتنا وحياتنا السياسية والاجتماعية.

والجواب على هذا السؤال واضح لمن يعرف الطبيعة القيادية في هذا الدين وفي سائر رسالات الله تعالى.

الطبيعة القيادية في رسالات الله

تأملوا في سورة الشعراء تجدون ان دعوة الانبياء عليهم السلام تتلخص في كلمتين: التقوى والطاعة. كما خطاب الانبياء لأممهم في هاتين الكلمتين (فاتقوا الله وأطيعون) (أي أطيعوني).

التقوى في علاقة الإنسان بالله تعالى

والطاعة في علاقة الإنسان بالانبياء.

التقوى في الحلال والواجب والحرام وهو الالتزام الكامل بحدود الله سبحانه وتعالى بشكل دقيق.

والطاعة في علاقة الناس بالانبياء (عليهم السلام).

والطاعة هنا مقولة أخرى غير مقولة التقوى.

التقوى لله تعالى، والطاعة للانبياء.

التقوى في الثوابت من حدود الله، في الصلاة والصوم والحج والزكاة وفي العبادات والمعاملات والطاعة في الشؤون والأحكام المتغيرة التي يأمر بها الأنبياء عليهم السلام حسب مصلحة الزمان والمكان.

تأملوا في هذه الآيات من سورة الشعراء:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1].

كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا

---

(١) الشعراء/ ١٠٥ – ١١٠.

تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُـونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِـنْ أَجْـرٍ إِنْ أَجْـرِيَ إِلَّـا عَلَـى رَبِّ الْعَالَمِينَ* . . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)(١).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِـنْ أَجْـرٍ إِنْ أَجْـرِيَ إِلَّـا عَلَـى رَبِّ الْعَالَمِينَ. . فَـاتَّقُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُـونِ* وَلَـا تُطِيعُـوا أَمْـرَ الْمُسْـرِفِينَ* الَّـذِينَ يُفْسِـدُونَ فِـي الْـأَرْضِ وَلَـا يُصْلِحُونَ﴾(٢).

إلـى آخـر الآيـات المباركـة التـي تخـص دعـوة الأنبيـاء لأممهم بالتقوى والطاعة.

الصبغة القيادية في الإسلام:

عن طاعة رسول الله وأولي الأمر مـن بعـده يقـول تعـالى:

---

(١) الشعراء/ ١٢٣ – ١٣١ .

(٢) الشعراء/ ١٤١ – ١٥٢ .

﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

وتعدد كلمة الطاعة في هذه الآية تشير إلى اختلاف نوع الطاعة.

فالطاعة الأولى، وهي طاعة الله (أطيعوا الله) في الثوابت من حدود الله تعالى في الحلال والحرام والواجبات، وهي الثوابت الشرعية، وهي طاعة لله حتى لو كان الأمر به من رسول الله (ص).

والطاعة الثانية، طاعة لرسول الله ولأولي الأمر من بعده (وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) طاعة في المتغيرات السياسية والاجتماعية والعسكرية..

قدم رسول الله (ص) إلى المدينة مهاجراً، فكان أول ما أقامه في المدينة بعد إقامة المسجد الولاية العامة والطاعة في السلم والحرب، وتقبّل المسلمون هذه الحقيقة بشكل طبيعي.

وتوفي رسول الله (ص) واختلف المسلمون في أمر خلافة رسول الله (ص) إلى اتجاهين اثنين، لا يزالان قائمين،

---

(١) النساء/ ٥٩.

ولكنهم لم يختلفوا في وجوب تثبيت الولاية والسيادة والحاكمية والطاعة بعد رسول الله (ص).

وتعتمد طائفة واسعة جداً من أحكام الله تعالى وحدوده في العبادات والمعاملات والقضاء والحدود والعقوبات الشرعية. . تتوقف على قيام الدولة والسيادة والحاكمية في المجتمع، ولا يمكن تطبيقها من دون قيام سيادة وحاكمية شرعية في المجتمع كالحدود الشرعية وحسم النزاعات في القضاء، والجهاد والدفاع. . وأمثال ذلك.

ولا يمكن أن يقول فقيه بتعطيل أحكام الله وحدوده وشريعته في عصر الغيبة، وهو أطول عصور التاريخ الإسلامي.

وعليه، فإن النتيجة التي نريد أن نستخلصها من هذا الشرح أن عصر الغيبة هو عصر اختفاء الإمام المهدي (عجل الله فرجه) لاسباب يعلمها الله تعالى وليس ذلك بمعنى غياب القيادة والطاعة.

والفقهاء العدول الأكفاء المتصدون هم القيادة النائبة في هذا العصر.

ولا تتعطل القيادة ولا الطاعة، ولا التعليمات القيادية في

عصر الغيبة.

كما لا تتعطل مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والدفاع، ومقاومة الحكام الظلمة، وتنفيذ أحكام الله تعالى وحدوده في هذا العصر.

تكاليف المؤمنين ومسؤولياتهم في عصر الغيبة:

وسوف نتحدث في هذه المحاضرة إن شاء الله في ضوء هذه المقدمة عن تكاليف ومسؤوليات المؤمنين في عصر الغيبة، وهي كثيرة، نقتصر منها على خمس نقاط:

١- المعرفة

٢- الاعداد والتحضير لظهور الإمام

٣- الدعاء للإمام عليه السلام ولنا بالفرج بظهوره.

٤- الطاعة للقيادة النائبة في عصر الغيبة.

٥- الثبات على مواثيق الولاية.

وإليك شرح موجز لهذه النقاط الخمسة:

١ـ المعرفة

معرفـة الإمـام (عجـل الله فرجـه) أمـر أساسـي فـي هـذه المرحلة، فهو عليه السلام حجة الله تعالى على عبـاده، وإمـام العصر، ولابد للمؤمنين مـن معرفـة قائمـة علـى أسـس علميـة متينة ومحكمة، وقناعة كاملة بحياة الإمـام (عجـل الله فرجـه) وغيبته، واستعداد وتأهب كامل لنصرته والجهاد بين يديه.

وهذه المعرفة لابد ان تقوم على أسس تعبدية فـي معظـم أجزائها.

وإليك توضيح هذه النقطة.

المعرفة التحليلية والتعبدية

المعرفة في الإسلام على نحوين:

معرفة تحليلية عقلية ومعرفة تعبدية.

بمعنـى ان هنـاك احكامـاً ومعـادلات فـي الإسـلام تقبـل التحليل العلمي العقلائي بشكل واضح.

وهناك احكام ومعادلات لا نتلقاهـا الا مـن خـلال التعبـد، ولا يمكن دراستها وفهمها من خلال دراسة علمية.

وفيما يـأتي نضـرب بعـض الامثلـة علـى كـل مـن هـذين

المسلكين للمعرفة.

هناك طائفة واسعة من احكام الشريعة والمعادلات والقضايا المعرفية في القرآن والسنة والفقه نستطيع ان ندركها بعمق من خلال التحليل العلمي.

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[1]. فلا نتوقف ولا نتردد في فهم الحقيقة التي تقرها آية القصاص. . وإنّ في قصاص القاتل والمجرم حياة وأمن وسلام للآخرين.

ويقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2]. إن الآية الكريمة تقرر حقيقة مشهودة للعلم والعقل، وهي أنّ ارهاب العدو يحقق الأمن والسلام للمسلمين، وأن إعداد القوة امر لابد منه لارهاب العدو.

وفي مقابل ذلك هناك طائفة من القضايا المعرفية

---

(١) البقرة/ ١٧٩.

(٢) الانفال/ ٦٠.

والحقائق والمعادلات التي يقررها القرآن والسنة الشريفة لا يمكن فهمها الا من خلال بصائر الوحي والتعبد فقط.

يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[1].

ونتساءل عن العلاقة المحسوسة بين التقوى الرزق وانفراج الازمة فلا نجد سبيلاً لفهم هذه الحقيقة والمعادلة إلا من خلال التعبد بكلمات الله تعالى في القرآن.

ويقول تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ**﴾[2].

فنتساءل ما هي العلاقة بين التقوى وهطول الأمطار من السماء واخضرار الارض فلا نجد سبيلاً لمعرفة هذه المعادلة الا من خلال بصائر الوحي بالتعبد بكلام الله.

ويقول تعالى: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[3].

---

(١) الطلاق / ٢ – ٣.
(٢) الأعراف/ ٩٦.
(٣) غافر/ ٦٠.

ويقول تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١].

فلا نجد علاقة محسوسة خاضعة للمعرفة الانسانية بالوسائل المتيسرة لنا في المعرفة بين الدعاء والاستجابة، وبين الشكر والزيادة، ولا نجد مسلكاً علمياً أميناً للإيمان بهاتين الحقيقتين إلا من خلال بصائر الوحي، بالتعبد بكلام الله تعالى.

الغيبة والظهور مسألة تعبدية

وإذا اتضح هذا التفريق بين مسلكي التحليل العلمي و«التعبد» لتحصيل المعرفة في الإسلام. نقول: إنّ قضية (الظهور) و(الغيبة) من المسائل التعبدية، ومحاولة إخضاع هاتين القضيتين للتحليل العلمي تؤدي إلى نتائج سلبية في نفوس المؤمنين. ولابد أن نأخذ هذه القضية وتلك من معين (التعبد) بكلام الله وكلام رسوله (ص) وأهل بيته (عليهم السلام).

---

(١) ابراهيم/ ٧.

الظهور والغيبة

إن قضية الإمام المهدي (عجل الله فرجه) قضيتان وليست واحدة، وهما الظهور والغيبة.

أما قضية الظهور فهو موضع اتفاق من جميع المسلمين سنة وشيعة، ولا يختلف فيها أحد. ويتفق المسلمون جميعاً على ظهور الإمام المهدي، وأن المهدي (عج) يظهر في آخر الزمان يملأ الارض بالعدل والتوحيد بعد ما ملئت بالظلم والشرك ويخضع الله تعالى له الارض كلها.

وهذه روايات متواترة عن رسول الله (ص) لا يشك فيها أحد من المسلمين. ويتفقون أيضاً أنه من ولد فاطمة عليها السلام.

وقد ورد ذكر هذا الحدث الكوني العظيم في كتابين من الكتب السماوية (الزبور) والقرآن، يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[١].

وأفهم من الآية الكريمة أن الكتب الإلهية التي تذكر هذه

(١) الانبياء/ ١٠٥.

القضية ثلاثة: القرآن والزبور والتوراة، لأن القرآن يذكر الزبور بعد الذكر والذكر التوراة.

أما الغيبة ففي رواياتنا روايات متواترة بالغة حد التواتر في كل مراحل السند بولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه بسامراء وغيبته.

وفي روايات أهل السنة اشارات واضحة إلى غيبة الإمام المهدي.

منها روايات الائمة أو الأمراء الاثني عشر في هذه الأمة التي تواترت فيها الروايات وصحّت في صحاح الحديث كالبخاري ومسلم والترمذي.

ولا يمكن تطبيق هذه الروايات على أية حالة في التاريخ غير ائمة اهل البيت الاثني عشر (عليهم السلام).. ولولاهم لم يكن لهذه الرواية مصداق في التاريخ الإسلامي.. وقد صرح رسول الله (ص) أن الائمة من بعده اثنا عشر إماماً.

كما صح عن رسول الله (ص): (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

وهذه الرواية واضحة في أن لكل زمان وفي كل عصر إمام عدل حق، من مات ولم يعرفه ولم يبايعه مات ميتة

جاهلية.

فمن هو إمام زماننا الحق العدل، الـذي يقـول عنـه رسـول الله (ص) من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية.

وأمثال هذه الروايات وهي كثيرة تشـير إشـارات واضـحة إلــى وجــود الإمــام وحياتــه عجــل الله فرجــه فــي عصــرنا. والروايات العامة من أمثال هذه الروايات كثيرة.

٢ـ الإعداد والتحضير لظهور الإمام

الانتظار قسمين:

١- الانتظار بمعنى الرصد كما ننتظر حلول شهر رمضان وخسوف القمر وكسوف الشمس وأوقات الفريضة.

٢- والانتظار بمعنى التحضير والإعداد كانتظار المريض للشفا، وانتظار الطالب للنجاح، وانتظار المهندس لإكمال البناء.

والفرق بينهما أن القضايا التي ننتظرها من النوع الأول لا يمكن تقديمها ولا تأخيرها، والقضايا التي ننتظرها من النوع الثاني يمكن تقديمها وتأخيرها، وانتظار الإمام عجل الله فرجه من النوع الثاني من الانتظار.

وذلك لأن ظهور الإمام (عجل الله فرجه) حدث كوني كبير في المساحات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والحضارية. ومثل هذا الحديث الكبير الذي يخبرنا به القرآن والسنة المتواترة عن رسول الله (ص) لابد ان يكون مشمولا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾، فلا يمكن ان يشذّ حدث

بهذا الحجم من سنة التغيير، وإذا كانت سنة التغيير نافذة على كل قوم (لا يغير ما بقوم) فكيف يشذ عنها هذا الانقلاب الكوني الشامل لكل الارض ولكل الأقوام.

* * *

إذن لا يتم هذا الانقلاب الكوني الشامل في حياة الناس ما لم يغير الناس أنفسهم، ويعدوا أنفسهم وأبناءهم وبناتهم وعوائلهم ومجتمعهم وشعوب الارض لهذا الانقلاب الكوني الشامل.

ولهذا التغيير مصاديق كثيرة، منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها الدعوة إلى الله، ومنها تربية الجيل الناشئ، ومنها تزكية النفوس، ومنها مكافحة الظالمين ومقاومتهم والتشهير بهم وإسقاطهم، ومنها إشاعة ثقافة الإسلام بين الناس، ومنها إعداد الشباب من هذه الأمة للقيام بمسؤولية التغيير الكبير، ومنها إنشاء وإقامة الكيانات السياسية الإسلامية على وجه الارض، ومنها إقامة الحوزات العلمية والجامعات الاسلامية لنشر الدعوة الاسلامية، ولتفقيه الناس وتثقيفهم بدينهم، ومنها الانفاق، ومنها التربية، ومنها الكلمة الناصحة،

ومنها الموقف، ومنها الصبر والمصابرة والصمود. . الخ.

وكل ذلك من عوامل التحضير والإعداد لهذه الثورة الكونية الشاملة.

وما لم يتم هذا الإعداد والتحضير لا يتم ظهور الإمام عجل الله فرجه، حسب ما نعرف من سنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع.

* * *

وعليه فإننا يجب أن نبحث بدلاً عن علائم الظهور، عوامل الظهور، والتأكيد في ثقافة الانتظار يجب ان يتحول من علائم الظهور من الصيحة، والخسف، والسفياني، والدجال، واليماني، والحسني إلى عوامل الظهور من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وتزكية النفوس والتربية، وإقامة المؤسسات الإسلامية، ومكافحة الظالمين، ومقاومة الاحتلال وغيرها.

وهو انقلاب ثقافي في ثقافة الانتظار، نرجو أن يحققها الشباب المؤمنون في انتظارهم للإمام عجل الله فرجه، فينقلبون من بطون كتب (الملاحم والفتن) للبحث عن علائم

الظهور، إلى ساحة الحياة الواسعة للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ومقاومة الاحتلال وأعوانهم من الظلمة الذين يحكمون بلاد المسلمين، وإعداد الشباب لهذه المقاومة، وإشاعة ثقافة الشهادة، والاستماتة، والتضحية، والصبر، والمقاومة، والثورة، والقوة، والطاعة، والاخلاص، والتقوى وما يتصل بذلك من شؤون العمل.

❊ ❊ ❊

وإذا حوّلنا ثقافتنا بهذا الاتجاه في مسألة الانتظار فسوف نفهم الانتظار فهماً مختلفاً تماماً عن الفهم القائم والموجود في أوساطنا الإيمانية.

وهذا الفهم الجديد هو أن الإمام عجل الله فرجه هو الذي ينتظر العمل والكدح والكفاح والجهاد والانفاق والبذل والتضحية والشهادة من شيعته وأنصاره ليأذن الله تعالى له بالظهور، ويتحوّل الانتظار من شيعة الإمام عجل الله فرجه إلى الإمام، فيكون هو الذي ينتظرنا.

ولهذا الانتظار (انتظار الإمام لشيعته) خطاب، وهذا الخطاب هو الدعوة إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر،

والدعوة إلى الله، ومقاومة الاحتلال وامتداداتهم من الحكام الظلمة في بلاد المسلمين. . الخ

وعلى شيعته وانصاره ان يستجيبوا لهذا الخطاب، ويلبوا دعوته، وينهضوا بمسؤولية الانتظار في الظروف الامنية والثقافية التي يحكمها الاستكبار العالمي وامتداداتهم في بلادنا.

وهذا هو معنى الإعداد والتحضير لظهور الإمام عجل الله فرجه، والذي تحدثنا عنه خلال حديثنا عن (مسؤوليتنا في عصر الغيبة).

٣ـ الطاعة

ثقافة الطاعة والولاية ثقافة عميقة في هذا الدين ولها وجهان:

الوجه الأول منهما الولاية وهو الخط النازل من الله ورسوله وأولياء الأمور في علاقتهم بالقاعدة الاجتماعية العريضة (الأمة) ومعنى الولاية هنا: السيادة والحاكمية.

والوجه الثاني، الطاعة، وهي في مقابل السيادة والحاكمية. وقد ذكر الله تعالى هذين الوجهين في آيتين من كتابه. عن الوجه الأول. يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1].

وعن الوجه الثاني يقول تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[2].

والطاعة طاعتان: الطاعة الأولى طاعة الله (أطيعوا الله)

---

(١) المائدة/ ٥٥.

(٢) النساء/ ٥٩.

وهذه الطاعة في الثوابت الشرعية مثل العبادات والمعاملات وهي طاعة لله حتى لو كانت التعليمات صادرة عن رسول الله (ص).

والطاعة الثانية في المتغيرات الشرعية، وهي الأحكام الولائية (السلطانية) الصادرة عن رسول الله (ص) وأولي الأمر من بعده في الحرب والسلم والشؤون الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع في السراء والضراء. وهذه هي الطاعة الولائية الثابتة لرسول الله (ص) ولأولياء الأمور من بعده بضرورة الشرع، وهذه الطاعة متصلة متواصلة في أولي الامر من بعد رسول الله (ص) إلى آخر حلقة من حلقات أولي الأمر المتمثلة في الإمام محمد بن الحسن العسكري (مهدي آل محمد) عجل الله فرجه، وهذه الطاعة هي التي تنتقل في عصر الغيبة إلى الفقهاء المتصدين للولاية في عصر الغيبة.

وتشير الآية الكريمة من سورة النساء/٥٩ إلى هذه التعددية في الطاعة.. يقول تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾. وفي هذه الآية طاعتان طاعة لله، وطاعة لرسول الله (ص) ولأولياء الأمور من بعده.. وهو

ما ذكرناه من تعدد الطاعة في الفقه.

امتدادات الطاعة في الإسلام

وهذه الطاعة وتلك داخلة في عمق الثقافة الاسلامية. . ومن دون الطاعة ينتفي الإسلام رأساً، فإن كلمة الإسلام بمعنى التسليم لله ورسوله. . وهو معنى الطاعة.

وللطاعة امتدادان في الفقه والعقيدة (الكلام). ففي الفقه يبحث الفقهاء شؤون الولاية والطاعة في باب ولاية الامر والحسبة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلاة الجمعة، والقضاء وغيرها من كتب الفقه وأبوابه.

وفي العقيدة (الكلام) يبحث المتكلمون عن الولاية وطاعة أولي الأمر في بحث الإمامة.

وهناك تشابك واسع في الإسلام بين مسألة (الطاعة) وأبواب الفقه والكلام، بل والاخلاق ايضا.

ولذلك قلنا إن الطاعة تدخل في عمق الثقافة الاسلامية ويعطيها الإسلام قيمة كبيرة جداً.

ولو تلونا آيات الطاعة في كتاب الله نجد أن الطاعة تحتل موقع الصدارة في الثقافة الاسلامية.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن رسول الله (ص): (ما نظر الله عز وجل إلى ولي له، يجهد نفسه بالطاعة، ولإمامه بالنصيحة إلا كان معنا في الرفيق الأعلى)[١].

وعن محمد بن الفضيل، قال سألته عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله عز وجل، فقال: (أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله عز وجل طاعة الله وطاعة الرسول وطاعة أولي الأمر)[٢].

وروى الشيخ المفيد (رحمه الله) في الأمالي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص): (اسمعوا وأطيعوا لمن ولاّه الله، فإنه نظام الإسلام)[٣].

توحيد الطاعة

وتدخل الطاعة في الإسلام في حقل التوحيد محضاً، وكل طاعة تخرج عن محور التوحيد طاعة غير شرعية، وذلك لأن الاصل في هذا الدين إن الطاعة لله تعالى وحده.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ

(١) الكافي ١ / ٤٠٤، كتاب الحجة باب ما أمر النبي (ص) بالنصيحة ح٣.
(٢) الكافي ١٨٧ باب فرض طاعة الائمة ح ١٢ .
(٣) أمالي المفيد/ المجلس الثاني.

وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[١].

إن الكـون كلـه قـد أسـلم لله طائعـاً، أمـا طوعـاً أو كرهـاً. ويقول تعالى:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[٢].

وهذه الآية حاصـرة للحكـم والسـيادة فـي الله تعـالى. فـلا حكم ولا سيادة في هذا الكون لغير الله، إلا أن يقع في امتداد ولاية الله وسيادته. وإذا كانت الولاية والسيادة والحاكميـة لله تعالى وحده، فإنّ الطاعة والانقياد لا تكون إلا لله وفي امتداد طاعة الله.

وطاعة رسول الله وأولياء الامر مـن بعـده ووكلائهـم تقـع في امتداد هذه الطاعة، وليس فـي عرضـها، ولا تتقـاطع معهـا بالضرورة.

إذن الطاعة المشروعة هي الطاعة التي تتصل بسبب وثيـق

---

(١) آل عمران/ ٨٣.

(٢) يوسف / ٤٠.

صريح بطاعة الله، وأما الطاعة المبتورة عن طاعة الله فهي طاعة غير مشروعة.

وما يراه الناس ويتخذونه أساساً للطاعة في (الديمقراطيات الحديثة) بناءً على نظرية (العقد الاجتماعي) الذي اشادها روسو، فلا اساس لها ولا قيمة في الإسلام، لأنها تبتر الطاعة عن الله، والقرآن صريح واضح: إن الطاعة كلها لله تعالى، وكل طاعة لا يقع في هذا الامتداد فهي طاعة غير مشروعة.

عن ابن ابي ليلى، عن أبي عبد الله عليه السلام: (وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع الله ولا رسوله)[1].

ويقصد أبو عبد الله عليه السلام بـ(ولاة الأمر) الائمة الاثني عشر من آل البيت عليهم السلام.

القيادة النائبة في عصر الغيبة

وفي عصر الغيبة الكبرى وهو عصرنا الذي نعيش فيه

---

(١) الكافي/ كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد اليه ح ٦.

تكون الطاعة للقيادة النائبة، وهم الفقهاء العدول الاكفاء المتصدون لولاية الامر في هذا العصر.

وقد وردت احاديث كثيرة عن اهل البيت (عليهم السلام) في النيابة العامة للفقهاء العدول المتصدين ولسنا الآن بصدد الدخول في هذا البحث.

فهو بحث يطول ولا يمكننا الدخول فيه في هذا المقال، وقد بحثت عنه في كتاب ولاية الامر. إلا أنني اذكر في هذا المقال بعض الاحاديث الواردة عن أئمة اهل البيت (عليهم السلام) في ذلك.

منها مقبولة عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام وفيها: (من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنما استخف بحكم الله، وعلينا رد، والراد علينا راد على الله، وهو على حد الشرك بالله)[١].

---

(١) وسائل الشيعة ١٨/ ٩٨ الباب ١١ من ابواب صفات القاضي ح ١.

ومنها التوقيع الذي يرويه محمد بن يعقوب الكليني عن اسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري ان يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (عج) فيه:

(وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم)[١].

ورواه الشيخ الطوسي في الغيبة قال: أخبرني جماعة عن جعفر بن محمد بن قولويه وأبي غالب الزراري وغيرهما عن محمد بن يعقوب عن اسحاق بن يعقوب.. وأورد الرواية.

ولاية الفقهاء في عصر الغيبة

وبغض النظر عن الروايات المتقدمة وغيرها والتي يطول البحث عنها فقهياً إذا أردنا أن ندخل فيه.. لا يمكن ان نقبل بتعطيل احكام الله تعالى وحدوده وتعطيل السيادة والحاكمية والنظام السيادي في حياة المسلمين في عصر الغيبة بضرورة

(١) كمال الدين للصدوق ٢/ ٤٨٣. من المحتمل ان يكون اسحاق بن يعقوب هو أخو محمد بن يعقوب صاحب الكافي (رض).

العقل وضرورة الشرع. . ولا نتوقف عند هذه النقطة ولا نتردد فيها.

وإذا يتردد الامر بين قبول الأنظمة الجائرة الظالمة التي تحكم العالم الإسلامي اليوم واسباغ الشرعية عليها بما تعمل من ظلم وفساد في الارض. أو المعارضة والمقاومة والدعوة والعمل لإقامة حكومة شرعية لا نتردد في الخيار الثاني. ونجزم بأنّ الله تعالى لا يرضى بالفوضى الاجتماعية والسياسية في حياة الناس من غير نظام ولا حكومة، ولا يرضى بالرضوخ والركون إلى نظام سياسي فاسد ظالم يتعدى حدود الله ويعتدي على عباد الله.

فمن غير الجائز ان نقبل بتعطيل أحكام الله وحدوده وتعطيل النظام والسيادة في حياة المسلمين.

ومن غير الجائز أن نذهب إلى اسباغ الشرعية للانظمة الظالمة الحاكمة في العالم الإسلامي وقبول سيادتها وحاكميتها والانقياد لها طوعاً.

فلا يبقى لنا من خيار الا ان ندعو إلى إقامة حكومة اسلامية، قائمة على اساس الإسلام وحدوده وأحكامه، ومعنية باقامة النظم والعدل والسيادة والحاكمية الشرعية في

المسلمين.

وهذا هو الخيار الوحيد الذي لابد لنا ان نتقبله في عصر الغيبة.

والقدر المتيقن من شرعية هذه السيادة والحاكمية الاسلامية التي انتهينا اليه من خلال الخيارات الساقطة هي ان يقوم ويتصدى لامر الولاية الفقيه العادل الكفوء، وهو نفس النتيجة التي انتهينا اليها من خلال الروايات.

الطاعة في عصر الغيبة

وعليه، فإننا نصل إلى النتيجة التالية من خلال البحث المتقدم في الطاعة، وهي ان الطاعة في عصر الغيبة للفقهاء العدول الاكفاء المتصدين للامر.

وطاعتهم من طاعة الإمام المهدي القائم من آل محمد (عجل الله فرجه) كما وجدنا في الروايات المتقدمة.

وقد حرص اهل البيت (عليهم السلام) في تعميق حالة الطاعة في نفوس المؤمنين.

وتقوم المؤسسة الفقهية الشيعية في مجتمعات الشيعة بهذا الدور منذ عصر الغيبة إلى اليوم، وتتولى السلطات الثلاثة

بصورة عملية، بغض النظر عن التنظير الفقهي لهذه المسألة.

فهي تتولى سلطة الافتاء وسلطة القضاء وسلطة الولاية (السلطانية).

وفي عصرنا قامت الجمهورية الاسلامية بقيادة فقيه الامة الإمام الخميني (رحمه الله) على هذا الاساس الشرعي المتين، وتصدى لولاية الامر كما تصدى من بعده خليفته الإمام الخامنئي حفظه الله لموقع الولاية والسيادة والحاكمية.

٤ ـ الدعاء

الدعاء من اسباب الفرج

من اسباب الفرج والظهور القوية والمؤثرة الدعاء، وليس من ريب وشك إن الله تعالى يقرّب بالدعاء ظهور الإمام (عجل الله فرجه) ويفرّج بظهوره عليه السلام عن المؤمنين والمسلمين نكباتهم وازماتهم ومصائبهم ويجمع به شملهم ويعز به نصرهم.

فقد أمرنا الله تعالى بالدعاء ووعدنا بالاجابة وهو صادق الوعد.

يقول تعالى: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾.

إن الدعاء مفتاح الرحمة والفرج، لا شك في ذلك.

عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (الدعاء مفتاح الرحمة)[1].

مفاتيح خزائن رحمة الله

وفي وصية لأمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه الإمام الحسن

---

(١) بحار الأنوار ٩٣ / ٣٠٠.

عليه السلام: (ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه، بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه)[١].

إن خزائن رحمة الله واسعة لا نفاذ لها ولا يرجع العبد خائباً عنها، ولكن مصيبة الإنسان أنه لا يتعرف على مفاتيح هذه الخزائن، ولو أنه تعرف على مفاتح خزائن الرحمة من مصادر المعرفة لوجد خيراً كثيراً في دنياه وآخرته.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا**﴾[٢]. عن الإمام الصادق عليه السلام أنه: (الدعاء)[٣].

أي أن الله تعالى يفتح للناس خزائن رحمته بالدعاء..

الدعاء والعمل

ولكن من شروط إجابة الدعاء العمل فلو أن الإنسان دعا ولم يسلك المسالك العملية التي جعلها الله تعالى للناس في

---

(١) بحار الانوار ٧٧ / ٢٩٩.
(٢) فاطر / ٢.
(٣) بحار الانوار ٩٣ / ٢٩٩.

حاجاتهم لا يرزق الإجابة، فلا يستجاب دعـاء مـريض يمتنـع عن مراجعة الطبيب والاخذ بالعلاج، ولا يستجاب دعـاء مـن يطلب الرزق ولا يذهب إلى السوق، ولا يتصدى للـرزق فـي منازلـه، ولا يسـتجاب دعـاء الطالـب الـذي يطلـب النجـاح والتوفيق في الدراسة من غير جهد ولا سـهر ولا حضـور فـي قاعات الدرس.

ذلك أن لله تعالى سنن في الكون وفي المجتمع والتـاريخ ولا تجري الامور في الكون والمجتمع والتاريخ الا من خلال هذه السنن. . والذي يسـتجيب الـدعاء هـو الـذي جعـل هـذه السنن في الكـون والمجتمـع والتـاريخ. . فـلا يصـح ولا ينفـع الدعاء إذا كان صاحب الـدعاء يطلـب الاجابـة خـارج دائـرة سنن الله تعالى.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (ثلاثة تُردّ عليهم دعـوتهم: رجل جلس فـي بيتـه، وقـال: يـا رب ارزقنـي، فيقـال لـه: ألـم أجعل لك السبيل إلى طلب الرزق؟)[1].

(١) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، ابواب الدعاء/ باب ٥٠ ح ٣.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضا: (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر).

وقد يتساءل أحد: إذا كانت السنن الإلهية هي الحاكمة في الكون والتاريخ والمجتمع كما هو كذلك، فلماذا الدعاء؟ وما دور الدعاء بعد ذلك؟

فنقول في الجواب: إن الله تعالى خلق هذه السنن ولم يأذن لأحد باختراقها وتجاوزها، ولكنه تعالى هو المهيمن عليها دائماً، وهو الباسط القابض المحيي المميت، الرافع الواضع، النافع الضار، وأزمة الكون والمجتمع والتاريخ كلها بيد قدرته، وتحت إرادته وهيمنة سلطانه.

ولسنا نقول ما يقول اليهود: ﴿**يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾، بل نقول ما يقوله القرآن: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[1]. إن الله إذا شاء أن يسلب التوفيق من عبده فلا يتوفق في أمره، وإذا شاء ان يمنحه التوفيق فلا أحد بقادر على أن يسلبه الرزق، وإذا شاء أن يقدّر عليه رزقه فلا أحد يستطيع ان يوسع عليه رزقه.

---

(١) المائدة/ ٦٣.

والدعاء لله القابض الباسط المعطي المانع النافع الضار.

وليس بين الدعاء والعمل تقاطع وتخالف، بل هما يتكاملان، فلا الدعاء يغني عن العمل، ولا العمل يغني عن الدعاء.

بين الاعداد والتحضير والدعاء

ولقد قلنا قبل قليل في مسؤولياتنا في عصر الغيبة: إنّ من أعظم هذه المسؤوليات الاعداد والتحضير لظهور الإمام (عجل الله فرجه) وثورته الكونية الكبرى، وذلك بالجهاد والمقاومة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر ثقافة القرآن والاسلام، والتزكية، والاصلاح، والتعبئة الانسانية، وتربية الجيل الصاعد، وإعداده إعداداً اسلامياً قوياً، وإقامة المؤسسات الثقافية والتربوية والتعليمية والتعبوية، وإصلاح الاسرة، وإقامة العلاقات الاجتماعية على أسس إسلامية صحيحة، وتعبئة الأمة تعبئة سياسية وثقافية وحركية. . الخ.

والآن إذ نتحدث عن الدعاء لظهور الإمام (عجل الله فرجه) وقيامه وثورته الكونية في سلسلة مسؤولياتنا في عصر الغيبة، لا نقصد بذلك أن الدعاء يغني عن التحضير والإعداد

لظهور الإمام.. وهذا خطأ كبير يقع فيه كثير من الناس للأسف، حيث يتصورون أن الدعاء للفرج والظهور يغني عن العمل للتحضير والإعداد، كما لا يصح العكس أيضاً، فلا يغني العمل والتحضير والإعداد عن الدعاء للإمام بالظهور والفرج..

إن التحضير والإعداد لا يغني عن الدعاء، والدعاء للظهور والفرج لا يغني عن التحضير والإعداد، وهما يتكاملان في تقريب الظهور وتعجيله بالتأكيد.

وقد كان الأنبياء (عليهم السلام) يدخلون الحروب الضارية تتساقط فيها الرؤوس والايدي والارجل ثم يدعون الله تعالى ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[١].

ولقد قدم رسول الله (ص) إلى (بدر) وأعدّ أصحابه لقتال المشركين من قريش، ولم يزل ليلته كلها كما يقول علي بن أبي طالب عليه السلام قائماً على قدميه يدعو الله تعالى بالنصر

---

(١) البقرة/ ٢٥٠.

ويتضرع ويقول: (اللهم إن شئت أن لا تعبد لا تعبد).

والدعاء بظهور الإمام (عجل الله فرجه) وقيامه وثورته الكونية، التي وعد به رسول الله (ص) في آخر الزمان لا يخرج عن دائرة سنن الله تعالى ولابد فيه ان يقترن الدعاء بالعمل، فلا يغني الدعاء عن العمل ولا العمل عن الدعاء.

الدعاء للإمام المهدي (عجل الله فرجه)

الدعاء للإمام المهدي (عجل الله فرجه) من أفضل الدعاء وأشرفه وأقربه إلى الاجابة، وأكثره ثوباً عند الله تعالى.

وذلك أن هذا الدعاء لخاتم الاوصياء وإمام العصر وحجة الله على خلقه، وولي أمور المسلمين جميعاً، والقائم بالأمر الذي يبسط الله تعالى له السلطان وينتقم به من الظالمين وينصره على الطغاة الجبارين.

وكذلك في نفس الوقت دعاء للفرج لعامة المسلمين من نكباتهم، ومصائبهم التي تحل بهم.

فإن الدعاء للإمام (عجل الله فرجه) بالظهور والنصر والعزة. . دعاء للمسلمين عامة بالفرج العاجل القريب، والخروج من الأزمات والمصائب التي تحل بهم من قبل

أنظمة الاستكبار العالمي وعملائهم الذين يحكمون العالم الإسلامي تحت حمايتهم ودعمهم لهم.

ولا شك ان هذا الدعاء دعاء في أمور مصيرية كبرى للإسلام وللعالم الإسلامي جميعاً، وهو من اشرف الدعاء وافضله وأثوبه عند الله وأقربه إلى الإجابة من الله تعالى.

نماذج من الادعية المأثورة للإمام المهدي (عج)

ومن أبرز المطالب في الدعاء للإمام المهدي (عجل الله فرجه) الدعاء لمستقبل البشرية، أن يرفع الله الظلم عن المستضعفين بظهوره وقيامه وتزول به شوكة المستكبرين، ويحق الله الحق، ويبطل الباطل بيده، ويميت به الباطل، ويحيي به الحق، ويقصم به الجبارين، ويرفع به المستضعفين، ويحكم العدل، ويسقط الظلم، ويسود به دين الله في الارض، ويسود به التوحيد والعدل على وجه الارض، وإليكم هذا النص الذي يرويه السيد ابن طاووس في جمال الاسبوع عن الإمام الرضا عليه السلام في الدعاء للحجة (عج):

(اللهم اجعله القائم المنتظر، والإمام الذي به تنتصر (لدينك)، وأيدّه بنصر عزيز، وافتح له فتحاً قريباً، وورثّه

مشارق الارض ومغاربها اللاتي باركت فيها، وأحيى به سنة نبيك صلواتك عليه وآله، حتى لا يستخفي بشيء من الحق، مخافة احد من الخلق، وقوّ ناصره، واخذل خاذله.

اللهم واقتل به جبابرة الكفر وعمده ودعائمه والقوّام به، واقصم به رؤوس الضلالة وشارعة البدعة ومميتة السنة، وأذلل به الجبارين وأبر به الكاذبين والمنافقين وجميع الملحدين.

اللهم وطهّر بهم بلادك، واشف منهم صدور عبادك، وأعزّ به المؤمنين، وأحيي به سنن المرسلين ودارس حكم النبيين، وجدد به ما محى من دينك، وبُدّل من حكمك، حتى تعيد دينك به، وعلى يديه غضنا جديداً صحيحاً محضاً، لا عوج فيه ولا بدعة معه، حتى تنير بعدله ظلم الجور وتطفي به نيران الكفر، وتظهر بهم معاقد الحق ومجهول العدل.

وفي دعاء الافتتاح: (اَللّـهُمَّ وَصَلِّ عَلى وَلِـيِّ اَمْرِكَ الْقـائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ، وَحُفَّـهُ بِمَلائِكَتِـكَ الْمُقَـرَّبينَ، وَاَيِّـدْهُ بِـرُوحِ الْقُـدُسِ يـا رَبَّ الْعـالَمينَ، اَللّـهُمَّ اجْعَلْـهُ الـدّاعِيَ اِلـى كِتابِكَ، وَالْقائِمَ بِدينِكَ، اِسْتَخْلِفْهُ فـي الأَرْضِ كَمـا اسْتَخْلَفْتَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكِّنْ لَهُ دينَهُ الَّذي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، اَبْدِلْـهُ مِـنْ بَعْـدِ

خَوْفِهِ اَمْناً يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً، اَللّـهُمَّ اَعِزَّهُ وَاَعْزِزْ بِهِ، وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ، وَانْصُرْهُ نَصْراً عَزيزاً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسيراً، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصيراً، اَللّـهُمَّ اَظْهِرْ بِهِ دينَكَ، وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتّى لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْء مِنَ الْحَقِّ، مَخافَةَ اَحَد مِنَ الْخَلْقِ اَللّـهُمَّ اِنّا نَرْغَبُ اِلَيْكَ في دَوْلَة كَريمَة تُعِزُّ بِهَا الاْسْلامَ وَاَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفاقَ وَاَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنا فيها مِنَ الدُّعاةِ اِلى طاعَتِكَ، وَالْقادَةِ اِلى سَبيلِكَ، وَتَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا وَالاْخِرَةِ).

ومن الأدعية المعروفة الدعاء الذي يألفه المؤمنون للإمام عجل الله فرجه في اجتماعاتهم ومجالسهم، وبعد الصلوات يرفعونه إلى الله تعالى بصورة جمعية، وهو:

(اَللّـهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آبائِه في هذِهِ السَّاعَةِ وَفي كُلِّ ساعَة وَلِيّاً وَحافِظاً وَقائِداً وَناصِراً وَدَليلاً وَعَيْنا حَتّى تُسْكِنَهُ اَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فيها طَويلاً).

ومن نماذج الادعية ما ورد في دعاء العهد المعروف الذي يألف المؤمنون قراءته:

(اَللّـهُمَّ اَرِني الطَّلْعَةَ الرَّشيدَةَ، وَالْغُرَّةَ الْحَميدَةَ، وَعَجِّلْ

فَرَجَهُ وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ، وَاَوْسِعْ مَنْهَجَهُ وَاسْلُكْ بي مَحَجَّتَهُ، وَاَنْفِذْ اَمْرَهُ وَاشْدُدْ اَزْرَهُ، وَاعْمُرِ اللّـهُمَّ بِهِ بِلادَكَ، وَاَحْيِ بِهِ عِبادَكَ.

فَاَظْهِرِ اللّهُمَّ لَنا وَلِيَّكَ وَابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكَ الْمُسَمّى بِاسْمِ رَسُولِكَ حَتّى لا يَظْفَرَ بِشَيْء مِنَ الْباطِلِ اِلّا مَزَّقَهُ، وَيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُحَقِّقَهُ، وَاجْعَلْهُ اَللّـهُمَّ مَفْزَعاً لِمَظْلُومِ عِبادِكَ، وَناصِراً لِمَنْ لا يَجِدُ لَهُ ناصِراً غَيْرَكَ، وَمُجَدِّداً لِما عُطِّلَ مِنْ اَحْكامِ كِتابِكَ، وَمُشَيِّداً لِما وَرَدَ مِنْ اَعْلامِ دينِكَ وَسُنَنِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَاجْعَلْهُ اَللّـهُمَّ مِمَّنْ حَصَّنْتَهُ مِن بَأسِ الْمُعْتَدينَ، اَللّـهُمَّ وَسُرَّ نَبِيَّكَ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرُؤْيَتِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلى دَعْوَتِهِ، وَارْحَمِ اسْتِكانَتَنا بَعْدَهُ، اَللّـهُمَّ اكْشِفْ هذِهِ الْغُمَّةَ عَنْ هذِهِ الأُمَّةِ بِحُضُورِهِ، وَعَجِّلْ لَنا ظُهُورَهُ، اِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعيداً وَنَراهُ قَريباً، بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ).

الندبة:

ومما يلحق بالدعاء للإمام عليه السلام الندبة له في غيابه وفراقه. . وقد وردت نصوص كثيرة في (الندبة) أشهرها دعاء الندبة

المعروف الذي يرفعه المؤمنون إلى الله كل يوم جمعة، يندبون به إمام العصر المهدي الهادي (عجل الله فرجه)، ويدعون الله بظهوره وقيامه، وإليك بعض الفقرات من هذه الندبة الشجية التي يرفعها المؤمنون إلى الله تعالى وكل اسبوع:

(اَيْنَ بَقِيَّةُ الله الَّتي لا تَخْلُو مِنَ الْعِتْرَةِ الْهادِيَةِ؟

اَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دابِرِ الظَّلَمَةِ؟

اَيْنَ الْمُنْتَظَرُ لاِقامَةِ الأَمْتِ وَالْعِوَجِ؟

اَيْنَ الْمُرْتَجى لاِزالَةِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوانِ؟

اَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْديدِ الْفَرآئِضِ وَالسُّنَنِ؟

اَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لاِعادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّريعَةِ؟

اَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لاِحْياءِ الْكِتابِ وَحُدُودِهِ؟

اَيْنَ مُحْيي مَعالِمِ الدّينِ وَاَهْلِهِ؟

اَيْنَ قاصِمُ شَوْكَةِ الْمُعْتَدينَ؟

اَيْنَ هادِمُ اَبْنِيَةِ الشِّرْكِ وَالنِّفاقِ؟

اَيْنَ مُبيدُ اَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ؟

اَيْنَ حاصِدُ فُرُوعِ الْغَيِّ وَالشِّقاقِ (النِفاقِ)؟

اَيْنَ طامِسُ آثارِ الزَّيْغِ وَالأَهْواءِ؟

اَيْنَ مُسْتَأصِلُ اَهْلِ الْعِنادِ وَالتَّضْليلِ وَالاْلْحادِ؟

اَيْنَ صاحِبُ يَوْمِ الْفَتْحِ وَناشِرُ رايَةِ الْهُدى؟

اَيْنَ مُؤَلِّفُ شَمْلِ الصَّلاحِ وَالرِّضا؟

اَيْنَ الطَّالِبُ بِذُحُولِ (دماء) الأَنْبِياءِ وَاَبْناءِ الأَنْبِياءِ؟

اَيْنَ الطّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلاءَ؟

اَيْنَ الْمُضْطَرُّ الَّذي يُجابُ اِذا دَعا؟

اَيْنَ صَدْرُ الْخَلائِقِ ذُوالْبِرِّ وَالتَّقْوى؟

اَيْنَ ابْنُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفى، وَابْنُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضى، وَابْنُ خَديجَةَ الْغَرّآءِ، وَابْنُ فاطِمَةَ الْكُبْرى؟

بِاَبي اَنْتَ وَاُمّي وَنَفْسي لَكَ الْوِقاءُ وَالْحِمى).

ونقتصر بهذا المقدار من الادعية ولمن اراد التفصيل ان يرجع إلى كتب الادعية والزيارات المفصلة.

وقد قرأت كتاباً في هذا الموضوع لأحد العلماء بعنوان (مكيال المكارم في الدعاء للقائم) لا يحضرني الآن الكتاب ولا اسم المؤلف، وهو كتاب جيد في هذا الباب.

٥ ـ الثبات على مواثيق الولاية

ولاية أهل البيت عليهم السلام

أهل البيت عليهم السلام هم أولياء أمور المسلمين.

والإمام المهدي (عجل الله فرجه) خاتم الاولياء.

والولاية أصل اصيل في علاقتنا بأهل البيت عليهم السلام.

روى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده عن أبي جعفر الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية)[1].

والولاية مفهوم اسلامي يكثر تردده في القرآن والحديث، ولها مساحة واسعة في الثقافة الإسلامية، وداخلة في عمق حياتنا الثقافية والعقائدية والاجتماعية، وهي بمعنى العلاقة الوثيقة أو (العلاقة العضوية)، ونقصد بالعلاقة العضوية (علاقة العضو بالأعضاء الاخرى في الكائن الحي).

---

(١) بحار الانوار ٦٨/ ٣٢٩ عن اصول الكافي ٢ / ١٨ . وبحار الانوار ٣٣٢/٢ عن اصول الكافي ٣ / ٢١ .

البعد العمودي والأفقي للولاية:

وللولاية بعدان: البعد العمودي والبعد الافقي.

والبعد العمودي هي العلاقة النازلة من الله ورسوله وأولياء أمور المسلمين إلى القاعدة العريضة للأمة وهي قاعدة الهرم الاجتماعي، ويتقوم خط الولاية النازل من الله ورسوله وأولي أمر المسلمين بالسيادة والحاكمية والقيمومة، وهو قوله تعالى: **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)**[1].

والمقصود بالذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة.. علي بن أبي طالب عليه السلام كما ورد في العديد من تفاسير أهل السنة والشيعة ومدوناتهم الروائية، يبلغ حد التواتر ولا سبيل للتشكيك في ذلك.

وقد جعل الله تعالى ولايته عليه السلام في امتداد ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما جعل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الولاية في امتداد ولايته تبارك وتعالى.

---

(١) المائدة/ ٥٥.

وهذا هو الخط النازل من الولاية في البعد العمودي.

وأما الخط التصاعدي من الولاية في البعد العمودي في علاقة الامة المسلمة بالله ورسوله وأولي الأمر من بعده. . فهي تتقوم بالطاعة والنصرة والمودة. . . وهي التي نقصدها من مواثيق الولاية وإلى هذا الخط الصاعد من الولاية تشير الآية الكريمة: (**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**). حيث أمر الله تعالى بطاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ في امتداد طاعتهن وطاعة اولي الأمر في امتداد طاعة رسول الله ﷺ.

وسوف نعود إلى الحديث عن هذه النقطة إن شاء الله في هذا المقال.

وهذا هو البعد العمودي من الولاية في العلاقة بين الله ورسوله وأولي الأمر والأمة المسلمة، وبالعكس في علاقة الأمة المسلمة بالله ورسوله وأولي الأمر.

وقوامها من الطرفين السيادة والحاكمية من جانب والطاعة وما تتطلبه الطاعة من جانب آخر.

وأما الولاية في البعد الأفقي، فهي العلاقة التي تربط

المسـلمين بعضـهم بـبعض بالتناصـر، والتعـاون، والتحابـب، والتكافل، والتناصح، والتفاهم، والتصالح، والتكامل، والتآزر، والتآخي. . الخ

وهذه علاقة واسعة جداً تربط المؤمنين بعضهم ببعض في ساحة الحياة الـدنيا، إينمـا كـانوا، لا تحجـزهم بعضـهم عـن بعض الحدود الاقليمية والقومية.

وإلـى هـذا المعنـى تشـير الآيـة الكريمـة: (**وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْـضٍ**)[١]، (**إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُـونَ إِخْوَةٌ**)[٢]. (**وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ**)[٣].

---

(١) التوبة/ ٧١.

(٢) الحجرات/ ١٠.

(٣) الأنفال/ ٧٢.

مواثيق الولاية

ونقصد نحن بهذا العنوان الخط الصاعد من الولاية في البعد العمودي. . أعني بذلك علاقة الأمة بالله ورسوله وأولي الأمر من بعده، وهو الذي يشير اليه قوله تعالى: (**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**).

وتتضمن هذه الولاية طائفة من النقاط الاساسية والجوهرية في علاقة الأمة بأولي الأمر. . وقد سمّينا هذه النقاط بمشتقات الولاية.

لأننا إذا حلّلنا الولاية إلى مكوّناتها الأولية وجدناها تتكون من هذه المجموعة من العناصر التي هي مواثيق الولاية، مثل: الطاعة، والمودة، والسلام، والنصيحة، والاقتداء، والتبعية في الثقافة وفي الموقف، والنصر، والثار، والمشاركة في الاحزان والافراح، والولاء لأوليائهم والبراءة من اعدائهم.

والولاية بمثابة الميثاق والعهد بين الأمة المسلمة وأولياء الأمور. . وهذا الميثاق يتضمن طائفة واسعة من التعهدات والالتزامات التي ذكرنا بعضها قبل قليل، وهي (مواثيق

الولاية).

وقبول الولاية يساوي الالتزام والتعهد بهذه المواثيق، ونصوص الزيارات الواردة لأهل البيتعليهم السلام (أولياء أمور المسلمين) تتضمن بشكل واضح ومقصود هذه المواثيق، كما سوف نستعرض طائفة منها ان شاء الله.

وزيارة أهل البيتعليهم السلام تعبير عن تجديد الالتزام بهذه المواثيق ومبايعتهم عليها، وتجديد البيعة، وتأكيدها، وتدل على ذلك وتؤكده نصوص الزيارات المتضمنة لهذه المواثيق.

وإليك طائفة من مواثيق الولاية، نستعرضها من خلال نصوص القرآن والحديث[1]:

١ـ البراءة

البراءة هي الوجه الآخر للولاية، ولا تكتمل الولاية إلاّ بالبراءة من أعداء الله وأعداء رسول الله وأولياء أمور

---

(١) تحدثنا عن هذه المواثيق في كتاب شيعة أهل البيت (ع) ونعيدها هنا مع بعض التغيير.

المسلمين، ومن دون البراءة تبقى الولاية حالة نصفية غير كاملة ما لم يلتحق بها الوجه الآخر لها، وهي البراءة.

قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: (إني أحبك وأحب فلاناً) وسمّى بعض أعدائه، وهذه هي الحالة النصفية التي تحدثنا عنها، ولا تكتمل ما لم يلحق بها النصف الآخر.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: (أما الآن فأنت أعور «رؤية الاعور رؤية نصفية» فأما أن تعمى «أي تفقد الولاية كذلك، كما فقدت البراءة» وأما أن تبصر)[1]، فيجمع الله تعالى لك بين الولاية والبراءة.

وفي الزيارة الجامعة (أُشهد الله وأُشهدكم أنّي مؤمن بكم وبما آمنتم به كافر بعدوكم (رافض لهم) وبما كفرتم به (رافض لما ترفضونه)، مستبصر بشأنكم، وبضلالة من خالفكم، موال لكم، ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم، معاد لهم.

وكما نتقرب إلى الله تعالى بموالاتهم، كذلك نتقرب إلى

---

(١) بحار الأنوار ٢٧/ ٥٨.

الله بالبراءة من أعدائهم.

وفي زيارة عاشوراء: (إني أتقرب إلى الله وإلى رسوله بمولاتك، وبالبراءة ممن قاتلك ونصب لك الحرب، وبالبراءة ممن أسس أساس ذلك وبنى عليه).

إن الولاء ليس دائماً في حالة سلم وعافية، وإنما يتولد ويتكون غالباً في حالة الصراع والمواجهة، بل لا يخلو من حالة المواجهة والصراع. . وعليه فلابد ان ينضم اليه الجناح الآخر للولاء، وهو البراءة، ومن دون ذلك لا يكتمل الولاء في ساحات الصراع والمواجهة.

إن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) إمام التوحيد والعدل ويحكم بسيرة رسول الله ﷺ وعلى نهجه وهديه، وعليه فإنّ أئمة الشرك والظلم وطغاة الارض والمنحرفين عن نهج رسول الله ﷺ من الطغاة والجبابرة كلهم اعداؤه يناصبونه العداء.

ولا يكتمل ولاء انصاره ومواليه إذا كانت أيديهم في ايدي الظالمين والطغاة والجبابرة وأئمة الكفر والشرك. وما لم يفارقهم ولم يباينهم لا يكتمل ولاؤهم.

٢ـ التوافق في السلم والحرب

العلاقة مع الإمام عجل الله فرجه قائمة على اساس التوافق معه عليه السلام ومع اوليائه في السلم والحرب.. في زيارة الجامعة ورد هذا البند من بنود الميثاق (سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم).

وقد أخرج الترمذي في صحيحه عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: (أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم)[(١)].

إن ساحة الولاء ساحة حرب وصراع، ومعترك الولاء من اشرس انواع الحروب واكثرها ضراوة، لانه حرب مستعرة في

---

(١) رواه الترمذي في الصحيح كتاب المناقب، باب فضل بنت محمد (ص) ٢/ ٣١٩، ط ١٢٩٢، وأخرجه ابن ماجة في سننه، المقدمة باب ١١ ص١٤٥، وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ١٤٩/١٣ كتاب معرفة الصحابة مبغض أهل البيت (ع) يدخل النار ولو صام وصلّى. والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ٤٠ و٥/ ١٨٤ والمعجم الاوسط للطبراني ٥/ ١٨٢ واحكام القرآن للجصاص/ ٥٧١ و٥٠٨ وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٣/ ٢١٩ و١٤/ ١٤٤ وأسد الغابة ٥/ ٥٢٣ وتهذيب الكمال للمزي ١٣/ ١١٣.

ساحات حضارية وثقافية واسعة، ولا تنتهي الا بانتهاء أحد الطرفين.

وأوضح ما يكون ذلك في عصرنا وفي عصر الظهور، فقد تباينت الخطوط وتخالفت وتقاطعت ولا يمكن ان يجمع بين هذه المتقاطعة، فإذا اختار الخط الذي أمر الله به ورسوله، فلابد أن يتقاطع مع سائر الخطوط.

وهذا هو معنى التوافق معهم عليهم السلام في السلام والحرب، ويذهب النص الذي رويناه من زيارة الجامعة إلى مرحلة من التوافق فوق هذه المرحلة.

وهي التوافق مع من سالمهم في السلم ومع من حاربهم في الحرب، وهي مرحلة امتدادية طولية بالنسبة إلى المرحلة السابقة وهي التوافق في السلم والحرب.

والتوافق في السلم والحرب معهم، والتوافق مع أوليائهم من أعظم مواثيق الولاية في زمن الغيبة وزمن الظهور.

٣ ، ٤ـ النصر والثأر

وهما من متطلبات الولاية ومواثيقها. يقول تعالى:

(وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)[١].. وحسب هذه الآية فإن الولاية تنتفي بانتفاء النصرة (أولئك بعضهم أولياء بعض).

وقد ورد في خطاب رسول الله ﷺ عندما نصب أمير المؤمنين علياً عليه السلام ولياً للمسلمين، وفرض عليهم من جانب الله ولايته يوم الغدير، اللهم وال من والاه وانصر من نصره واخذل من خذله.

وهذا النصر من مواثيق الولاء، ولا يتم الولاء من دون النصر.. وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يستنصر من يلقاه في طريقه من الحجاز إلى العراق وفي العراق، فإذا اعتذر نصحه ان يبتعد عن ساحة الطف لئلا يسمع واعيته (استغاثته واستنصاره) فمن سمع واعيته ولم ينصره أكبه الله على وجهه في النار.

والنصر في علاقتنا بالإمام المهدي (عجل الله فرجه) واحد من أهم مواثيق الولاية، سواء في ذلك عصر الغيبة أو الظهور،

---

(١) الانفال/ ٧٢.

وليس لأحد أن يستثني عصر الغيبة من هذا الأصل الهام من مواثيق الولاء.. فإن الطغاة والجبابرة وأنظمة الاستكبار العالمي في الغرب وعملاءهم في المنطقة هم أعداء المسيرة الربانية التي يقودها ويسلكها الإمام (عجل الله فرجه) وأعز نصره.

ونصرة الإمام بالضرورة لا يتم في ظل التوافق والتعاون والتفاهم مع هذه القوى الاستكبارية وائمة الشرك والظلم في الارض..

وقد ورد في زيارة الجامعة: (ونصرتي لكم معدة). ومعنى الاعداد الجاهزية الكاملة للنصر كلما يتطلب الأمر.

والنصر يمتد من عصر الغيبة إلى عصر الظهور، ويُعدّ من أبرز مواثيق الولاء في عصر الظهور.

وقد تحدث المعركة فيغيب الإنسان عن المعركة كما لو كان في جيل لاحق لساحة الصدام والصراع، كالذين غابوا عن ساحة المعركة في كربلاء عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام وكانت نياتهم وهواهم مع الحسين عليه السلام.. هؤلاء لا يسقط عنهم النصر بالكلية، وإنما يتحول عندهم النصر إلى (الثار).. ولا زمان للثار قبل ان ينتهي العدو بشكل كامل.

فمن غاب عن نصرة الحسين عليه السلام بكربلاء يتحول النصر على ذمته إلى حركة الثار.

وهاتان (النصر والثأر) حركتان متعاقبتان على امتداد عصور الصراع والمواجهة بين الحق والباطل، وائمة الهدى والضلال حتى ظهور القائم عجل الله فرجه، فهو خاتمة الثائرين، وبظهوره وثورته الكونية الكبرى ينتهي الشرك والظلم على وجه الارض كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبانتهاء حضور الشرك والظلم على وجه الارض تنتهي حركة الثار.

وأما قبل ذلك في عصر الغيبة والظهور فإن حركة النصر والثار تغطيان مساحة التاريخ كلها.

وقد ورد في زيارة عاشوراء وهي من النصوص المهمة التي تسلط الاضواء على طائفة مهمة من مواثيق الولاء.. ورد في هذه الزيارة: (فأسأل الله الذي اكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي موضع آخر من هذا النص: (وأسأله أن يبلغني المقام المحمود لكم عند الله، وأن يرزقني طلب ثاركم مع إمام هدى ظاهر ناطق بالحكم منكم).

والإمام المنصور من آل محمد، وإمام الهدى منهم، هو المهدي القائم المنتظر من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يروي ذلك الفريقان الكبيران في الإسلام الشيعة وأهل السنة.

وبناء على هذا الشرح فإن (النصر) و(الثار) من أهم مواثيق الولاية في عصر الغيبة وعصر الظهور معاً.

٥، ٦ ـ السلام والنصيحة

يتكرر منا السلام للأنبياء وأوصيائهم وأهل البيت عليهم السلام وخاتمهم وقائمهم وللصالحين من عباد الله.

(اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صِفْوَةِ الله اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نُوح نَبِيِّ الله اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ اِبْراهيمَ خَليلِ الله).

وفي زيارة الجامعة: (اَلسَّلامُ عَلى اَوْلِياءِ الله وَاَصْفِيائِهِ، اَلسَّلامُ عَلى اُمَناء الله وَاَحِبّائِهِ، اَلسَّلامُ عَلى اَنْصارِ الله وَخُلَفائِهِ، اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ الله، اَلسَّلامُ عَلى مَساكِنِ ذِكْرِ الله. .).. الخ.

والسلام يتضمن معاني جميلة من مواثيق الولاء، فهو من الناحية الايجابية بمعنى المحبة، والمودة، والتعاون،

والتضامن، والطاعة، والموافقة، ومن الناحية السلبية بمعنى نفي المخالفة والمقاطعة والكيد والمكر والمنابذة والإيذاء، والمعاكسة، والشقاق.

وخصلة السلام بناء على هذا الشرح الايجابي والسلبي تحدد العلاقة مع أولياء الأمور والولي القائم بالأمر بشكل واضح.

وللسلم في علاقتنا بأولياء أمور المسلمين امتداد لابد ان نأخذ به، ولا يجوز التفريط فيه. وهو حالة السلم مع أوليائهم ومن سالمهم، كما ان العكس ايضاً يدخل في هذا الامتداد، وهو حالة الحرب لمن حاربهم.

وهذان امتدادان واجبان في السلم والحرب ومن مواثيق الولاية.. وقد جاء ذلك في الخطاب الولائي الصريح في زيارة الجامعة (سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، وولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم).

وفي الخط الصاعد لهذه العلاقة نقرأ حديث رسول الله ﷺ كما يروي الترمذي في الصحيح عن زيد بن أرقم: أن رسول الله ﷺ قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: (أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم).

وقد تقدم طرق الحديث.

والعنصر الآخر من مواثيق الولاية: (النصيحة) لأولياء أمور المسلمين.

روى الإمام الصادق عليه السلام: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس في حجة الوداع بمنى في مسجد الخيف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم:

١- إخلاص العمل لله.

٢- والنصيحة لأئمة المسلمين.

٣- واللزوم لجماعتهم.

فإن دعوتهم محيطة بهم. والمسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم)[1].

وهذه ثلاث نقاط مضيئة في العلاقة بالله تعالى والإمام

---

(١) بحار الأنوار ٢٧ / ٦٨ .

والأمة.

الإخلاص في العلاقة بالله.

والنصيحة في العلاقة بالإمام.

والحضور في الجماعة المؤمنة في العلاقة بالأمة.

والنصيحة للإمام علاقة متميزة تتميز بالصدق، والشفافية، والوضوح، والأمان، والأمانة، والتسديد، والتأييد، وتقديم الرأي، والمشورة الناصحة. هذا من الناحية الإيجابية.

ومن الناحية السلبية نفي الغش والكذب والخيانة والنفاق والمكر والكيد في التعامل مع أولياء الأمور.

٧ـ التعاطف في الحزن والفرح

المشاركة في الحزن والفرح أمارة الصدق والحب، والحب من أعظم مواثيق الولاء وعناصره التي لا تفارقه.

يقول الإمام الصادقعليه السلام: (وهل الدين إلاّ الحب)[(١)].

ولذلك فإن المشاركة العاطفية في الاحزان والافراح

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق/ ٢١، وروضة الواعظين للفتال النيسابوري/٤١٦، مستدرك الوسائل للمحدث النوري ١٢/ ٢٢٧ .

تحوّل صاحبها إلى عضو من اعضاء هذه الاسرة ومن مكوناتها الانسانية. وتعبير الإمام الصادقعليه السلام بهذا الشأن دقيق:

(شيعتنا منا، يسوؤهم ما يسوؤنا ويسرّهم ما يسرّنا)[١].

إن الولاء يلحق صاحبه بهذه الأسرة المباركة، وهو معنى كلمة (مِنّا) الواردة في هذه الرواية، وهي نفس الكلمة التي عبّر عنها رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم في إلحاق سلمان المحمدي رضوان الله عليه بهذه الأسرة (سلمان منّا أهل البيت).

وأمارة هذا الانتماء الأسري هي (يسوؤهم ما يسوؤنا، ويسرّهم ما يسرّنا).

وفي رواية صحيحة عن ريان بن شبيب (رحمه الله) خال المعتصم العباسي، عن الإمام الرضاعليه السلام، أنه قال له: يابن شبيب، إن سرّك ان تكون معنا في الدرجات العلى في الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا. فلو أن رجلاً توّلى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة[٢].

---

(١) أمالي الطوسي ١ / ٣٠٥.

(٢) أمالي الصدوق ٧٩ المجلس ٢٧.

٨ـ الطاعة

قد تحدثنا عن الطاعة بتفصيل في النقطة الثالثة من نقاط تكاليف عصر الغيبة، وهنا نتحدث عنها بإيجاز بعنوان ميثاق الولاية في عصر الحضور والغيبة. . إنّ (الطاعة) و(المودة) ركنان في ميثاق الولاية، ولا تنعقد مواثيق الولاية من دونهما.

والطاعة قوام هذا الدين ومن دونها لا يبقى شيء من هذا الدين البتة.

فلا يمكن ولا يصح أن نستثني عصراً من العصور من هذه الركيزة الاساسية من ركائز الإسلام وأركانه.

ولا يمكن أن يعطّل الإسلام الطاعة من حياة المسلمين في ثوابت الشريعة كالفروض والحدود والواجبات السلطانية مثل إقامة الحدود الشرعية، والأمر بالجهاد والدفاع، وفي متغيرات الاحكام، وهي الأحكام الولائية (السلطانية) التي يختل نظام الحياة الاجتماعية من دونها، والتي تدخل في منطقة الفراغ التي تركها الإسلام للحاكم.

إن غيبة الإمام عجل الله فرجه ليس بمعنى غياب القيادة، والفقهاء المتصدون للولاية والقيادة في عصر الغيبة ينوبون عن الإمام عجل الله فرجه في الولاية والقيادة، وهم القيادة

النائبة، بالنيابة العامة، وتجب طاعتهم كما تجب طاعة الإمام في عصر الحضور.

وطاعة القيادة النائبة في عصر الغيبة من طاعة الإمام عجل الله فرجه، وطاعته من طاعة رسول الله ﷺ وطاعة رسول الله ﷺ من طاعة الله تعالى.

وقد جاء في زيارة الجامعة (من اطاعكم فقد اطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله).

ومن مشاهد هذه الطاعة: التسليم والاتباع، وقد جاء في الخطابات الولائية في زيارة الجامعة في تأكيد ميثاق الطاعة والتسليم.

(مسلّم فيه معكم، وقلبي لكم مسلّم، ورأيي لكم تبع).

٩ـ الاتباع والالتزام

الاتباع والالتزام لمنهج أهل البيت عليهم السلام في منهج العبادة والعبودية، والذكر، والشكر، والطاعة، والايمان بالغيب، والتصديق، وفي الحياة، والحركة.

وفي العلاقات الاجتماعية.

وفي التصورات والرؤى، ومناهج السلوك والحركة

والعمل.

وفي الآداب والاخلاق والاعراف الاجتماعية والتقاليد.

وفي العلاقات الاسرية مثل علاقة الأبوة والبنوة والزوجية والاخوة، وأمثال ذلك.

وهي نقاط كثيرة تغطي مساحة واسعة من حياة الإنسان ويجمعها عنوان ثقافة العلاقة التي هي ايضا شطر من ثقافة الإنسان.

إن منهج أهل البيتعليهم السلام في كل ذلك هو منهج القرآن والسنة النبوية، وقد ورث أهل البيتعليهم السلام من رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم سننته وحديثه، وحفظوها وكانوا خزانها الأمناء، توارثوها كابراً عن كابر، كما ورد في حديث الثقلين الذي تواترت روايته من الفريقين من المسلمين ونحن نرثها منهم ونلتزمهم فيها.

وهذا الاتباع والالتزام من مواثيق الولاية.

في زيارة الجامعة: (**فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُمْ لاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ فى حَقِّكُمْ زاهِقٌ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ، وَمِنْكُمْ وَلكُمْ، وَاَنْتُمْ مَعْدِنُهُ**).

وفي الصلوات الشعبانية: (المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق)، ونحن نعتقد ان التزامهم والتمسك بهم في كل ذلك أمان للمسلمين من النار ومن الاختلاف.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف)[١].

١٠ـ الصبر على البأساء والضراء

إن فتنة آخر الزمان فتنة عارمة، لا تشبهها فتنة، وإنّ قادة هذه الفتنة وأوليائها يستخدمون في هذه الفتنة كل ما وصل إليه العقل الإنساني من فن وابداع في تحكيم هذه الفتنة، ودعمها واسنادها وتثبيتها وتوسيع مساحتها.

وتتحرك في مساحة هذه الفتنة أنظمة استكبارية تملك

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٣ وصححه على شرط مسلم ورواه المتقي في الكنز ٢١٦/٦ والهيتمي في المجمع ١٨/٩ والخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ١٩ وأبو نعيم في حلية الاولياء ٦/ ٣٠٦ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم) وغيرهم من حفاظ الحديث النبوي.

المال، والاعلام، والقوة، والسلاح وتفرض هيمنتها على مشارق الارض ومغاربها، وتملك من امكانات النفوذ والتأثير والسلطة ما لم يملكه الإنسان في كل مراحل التاريخ، من شبكات الاعلام الفضائية والنفوذ في شبكات الاتصال العالمية، والقدرات العسكرية الهائلة، وتستخدم هذه الانظمة كل هذه الامكانات والقدرات في إفساد الإنسان واستضعافه وتعويمه وتخريبه.

وهذه هي محنة المؤمنين الثابتين على الإيمان بالله في عصر الغيبة جيلاً بعد جيل.

وموقف الناس من هذه الفتنة العسيرة العارمة على ثلاثة أنحاء:

فمن الناس من ينجرف مع الفتنة وتستهلكه الفتنة وتستغرقه ويتحول هو إلى جزء من هذه الفتنة، وهؤلاء هم الذين يسقطون في الفتنة.

ومن الناس من لا تجرفه الفتنة في عصر الغيبة ولكنها تعزله وتجرده عن سلاح المقاومة وتهمشه بالكامل من ساحة الحياة وتشلّه الفتنة وتسلبه الأمل والنشاط ويغلبه اليأس والتعب.. وبالتالي تفقده المقاومة وهو أفضل من الحالة

الأولى، ولكنها على كل حال حالة ضعف.

وطائفة ثالثة من الناس لم تجرفهم الفتنة معها ولم تستهلكهم ولم تسقطهم كما تفعل مع الفئة الأولى، ولم تعزلهم وتجردهم عن المقاومة وتهمشهم كما تفعل مع الفئة الثانية، ولكنها تزيدهم مقاومة وصبراً، ويثبتون في وسط ساحة الفتنة للفتنة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقاومون الفتنة، ويتصدون لها، وما تزيدهم الفتنة وانحراف الناس عن صراط الله المستقيم وشرعه وهديه، واتساع مساحة الفتنة إلاّ إيماناً وثباتاً على الهدى.

يقول تعالى: (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**)[(١)].

هؤلاء يزيدهم اشتداد الفتنة واتساع رقعتها وانحسار الناس عن الهدى صلابة وقوة وإصراراً في المضي على صراط الله المستقيم، والاستعانة بالله في الطريق الشاق الصعب.

---

(١) آل عمران/ ١٧٣ .

يصف أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواجهة الفتنة البأساء والضراء في مكة والمدينة: (ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم(١)، وصبراً على مضض(٢) الألم، وجداً في جهاد العدو. ولقد كان الرجل والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي الآخر كأس المنون. فمرّة لنا، ومرة لعدونا منّا. فلّما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت(٣)، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام)(٤).

ثم يخاطب عليه السلام جيشه الذين ضعفوا ووهنوا في صفين: (ولعمري لو كنا نأتي ما آتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للإسلام عود. وأيم الله لتحتلبنها دماً، ولتتبعنها ندماً)(٥).

---

(١) اللقم بالتحريك معظم الطريق.
(٢) مضض الألم لذعته وبرحاءه.
(٣) الكبت: الذلّ.
(٤) نهج البلاغة، قسم الخطب ١ / ١٠٥ ، خطبة رقم ٥٦ .
(٥) نهج البلاغة خطبة رقم/ ٥٦ .

والأمر في عصر الغيبة لا يختلف عنه في صدر الإسلام، فإن سنن الله تعالى في المجتمع والتاريخ لا تتبدل ولا تتغيّر فإذا وجدنا في مجتمعنا وأمتنا أمثال أولئك الذين يصفهم أمير المؤمنين عليه السلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواجهة الفتنة، ومقاومتها والتصدي لها، والتزام جانب الحق، مهما كان الثمن، ووجد الله تعالى فينا صدق العزيمة والصبر والقوة، وإيثار الآخرة على الدنيا، والدفاع عن الإسلام، لتوطين الارض لظهوره الإمام عجل الله فرجه، إذن في ظهوره وقيامه، فإن سنن الله تعالى في عصر الحضور هي سننه في عصر الغيبة.

يقول تعالى: **(وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)**[1]. **(فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)**[2].

ولئن كان المؤمنون يواجهون الاستكبار العالمي وأئمة الكفر والضلال وجنودهم في عصر الظهور وجهاً لوجه،

---

(١) الإسراء/ ٧٧.

(٢) فاطر/ ٤٣.

ويتحملون حر النار والحديد، وتسقط منهم الرؤوس والأيدي والأرجل تحت قيادة الإمام عجل الله فرجه، فإن عصر الغيبة يُعِدّ لظهور الإمام ويحضّر الارض ويوطّنها لظهور الإمام، ولا يقل عن عصر الحضور في البأساء والضراء، وما يجب على المؤمنين أن يبذلوه في سبيل الله من الأنفس والأموال والبنين والأزواج في عصر الظهور يجب عليهم في عصر الغيبة، وهذه التضحية يعدّ الارض لظهور الإمامعليه السلام وقيام دولته الكونية الكبرى.

الثبات على المواثيق في عصر الغيبة:

وبعد فهذه طائفة من مواثيق الولاء، يجب على المؤمنين الثبات عليها في عصر الغيبة، ومهما صبر المؤمنون وثبتوا على هذه المواثيق فإنهم يقربون بذلك ظهور الإمامعليه السلام وثورته الكونية الكبرى، وقيام دولته العالمية، وإذا تقاعس الناس عن ذلك وتواكلوا، فإن الفرج يتأخر عليهم وتطول عليهم الفتنة الكبرى التي طالت الحرث والنسل.

وقد يستبدلنا الله بغيرنا - لا سمح الله - إذا لم يجد الله تعالى فينا صدق النية والعزيمة والصبر والمقاومة وتحمل

البأساء والضراء.

وليس معنى الإمداد الغيبي الإلهي العظيم لنصرة الإمام عجل الله فرجه في صراعه مع أئمة الكفر والظلم والشرك. إن ظهور الإمامعليه السلام وثورته يخرج عن دائرة سنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع.

وسنة الله في التاريخ والمجتمع هي قوله تعالى: **(إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)**(١).

إن شرائح من مجتمعنا يقرأون ما ورد في كتب الملاحم والفتن من الإمداد الإلهي الغيبي العظيم للإمامعليه السلام في ثورته الكونية وقيامه ونهضته، فيتصورون أن قيام الإمام وثورته خارجة عن دائرة سنن الله تعالى، وأن لها وقتاً معلوماً بالزمان، وليس بأعمال الناس وأفعالهم، لا يتقدمه ظهور الإمام ولا يتأخر عنه، وهو خطأ كبير، والتباس في فهم سنن الله.

فإن الإمداد الغيبي الإلهي العظيم لعبده ووليه القائم المنتظر حق لا شك فيه، وهو من ضمن سننه تعالى، كما أن

---

(١) الرعد/ ١١ .

سنة التغيير (**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) سنة إلهية عامة، ولا تقاطع ولا تخالف بين هذه السنة وتلك، بل هما متكاملتان.

إن سنّة التغيير سنة تعليقية حتمية، لا تتعطل إطلاقاً، ويعلق القرآن الكريم النصر الإلهي والتغييرات الكبرى في حياة الأمم على أفعالهم وإرادتهم. فهم يقرّبون النصر ويبعدونه ويرفضونه ويطلبونه.

وظهور الإمام عجل الله فرجه، ليس بدعاً من أحداث التاريخ والمجتمع.

محمد مهدي الآصفي

النجف الأشرف

في ٦ من شهر رمضان المبارك ١٤٣١

الفهرس